فضلهم الا بها لا بجب النفاقهم واعمالهم المشتركة كما ظنه الفقراء
وتمنوا ان يسابقوهم او يساوقوهم بها فنبههم اولا باحوالهم
حتى ينقطع عنهم تلك الامنية فلما لم يتنبهوا اعلمهم بخصوصيات
المواهب والعطاء بقوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ليعلم انهم
اصفياء الفقراء واصفياء الاغنياء في سرادقات العزة وحجب الاعتلاء
كما اشار الى ذلك بعض الاولياء بقوله تحت قباب العز اطلعهم
اخفاهم وفي رداء العز اجلالا اظهر السلاطين في اطمارهم
استبعدوا من ملوكا لارض اقبالا غبر ملابسهم شعثا معاطسهم
جرّوا على قلل الخضراء اذيالا وحاصل الكل ان مقام جمع الجمع
عام مرتبة وهو الرضا والتسليم بما جرى به قلم القضاء كما يشير
اليه قوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان
بعباده خبيرا بصيرا وفي الحديث القدسي ما معناه ان من
عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله وان من
عبادي لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لفسد حاله وقد
يختلف حال شخص واحد باعتبارين فتارة يناسبه الفقر
واخرى يناسبه الغنى ولذا قال الفاروق هما مطيتان
لا ابالي ايهما ركبت وهذا بالنسبة الى اختيار الرب لعبده
واما اذا خيّر فاختار ما اختاره مختار الانبياء بان يكون
جامعا بين احوال الاصفياء فتارة يجوع ويصبر على البلاء
وتارة يشبع ويشكر على النعماء فيكون مظهرا لكمال في
مرائي الجلال والجمال ومجمل القضية ان كل ما يبعد العبد
عن قرب الرب فهو شوم وكلما يقربه الى مقام انسه وحضرة
قدسه فهو مبارك لان الفقر كاد ان يكون كفرا كما في حديث
وفي الاية كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ولقد
تعوذ صلى الله عليه وسلم منهما بقوله اعوذ بك من شر الفقر

ومن

ومن شر الغنى ثم رايت بعض الفضلاء ذكر وجها وجيها
في تفضيل الفقراء على ما يفهم من هذا الحديث وهو ان الاغنياء
وان شاركوا الفقراء في التسبيح ونحوه فقدا متاز الفقراء عنهم
بمزية جليلة وهي الحسرة التي يجدها الفقراء عند عدم ما يوفقونه
كما ينفقه الاغنياء وقامت تلك الحسرة مقام انفاق الصدقة
فان نية المؤمن خير من عمله ولان تسبيح الاغنياء مسبب
عن سوال الفقراء وكل من يتعلم عنهم الى يوم القيمة فانه في
المعنى كانه من صدقته عليهم وكشتان ما بين الصدقتين
هذه صدقة الاذكار وهي قوت الارواح وتلك صدقة الطعام
والشراب وهي قوت الاشباح واما ما قدّره الشيخ ابو طالب
المكي فقال انكم فضلتم الاغنياء او ساويتموهم وان لم يكن
لكم قربات اموال وذلك فضل الله فهو بعيد كما لا يخفى على
ذوي الانتباه وقيل الكفاف افضل من الفقر والغنى فانهما
محنتان يمتحن الله بهما من يشاء من عباده واختار شيخ مشايخنا
الجلال السيوطي رحمه الله وبويده حديث خير الرزق الكفاف رواه
احمد في الزهد وفي رواية خير الرزق ما كان يوما بيوم كفافا
وفي رواية خير الرزق ما يكفي ووقفت طائفة عن التفضيل
بينهما وهو الذي يخطر بالبال والله اعلم بالحال ان كلام الصوفية
ليس في فضائل الاعمال بل في مراتب الاحوال بان الصبر على شدة الفقر
وقلة المال اقوى من الشكر على النعمة وسعة المال وهذا امر
واضح لا ينبغي ان يكون فيه خلاف المقال فان العبد الذي يخدم
سيده على الكد والمحنة لا شك انه اكمل من الذي يخدمه في حال البسط
والمنحة فان الثاني يحتمل انقلاب حاله اذا وجد المحن والاول بطريق
الاولى يزيده الطاعة عند ظهور المنن المساكين والعشرون
عن ابي هريرة تقدم ذكره ووجه منع صرفه واعاده ابن حجر

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)